Coptic Orthodox Church
الكنيسة القبطية الأرثوذكسية
دراسات كتابية وآبائية
Biblical and Patristic Studies

حوار بين

فتياننا الأبطال

وأم النور

8

مسيحنا يبارك أرض مصر

اعداد
القمص تادرس يعقوب ملطي

مسيحنا يبارك أرض مصر

سأل الفتى لوقا أم النور: "لقد عرفنا لماذا اهتم الربّ ببابل فأرسل كوكبًا عجيبًا يشرق على المجوس الذين كان ملوك بابل وقادتها وشعبها يثقون فيهم لمعرفتهم علم الفلك وقدرتهم وفهمهم للسحر. فاستنار المجوس البابليون أو الكلدانيون في جدية ليلتقوا بالطفل يسوع ملك اليهود مُخلّص العالم. قدموا له الخضوع دون جدال أو تشكك. آمنوا بمُخلّص العالم ملك الملوك ورئيس الكهنة السماوي، وقبوله مرارة التصرفات لصلبه، كي يفدي المؤمنين بدمه الثمين. أما بالنسبة لمصر فجاء إليها الطفل يسوع وأنتِ معه والقديس يوسف، فلماذا لم يرسل ملاكًا أو كوكبًا يقود فرعون أو رجاله الذين يثق فيهم ليلتقوا بهذا المُخلّص في أرض اليهودية؟

أجابت أم النور:

أولاً: الربّ في محبته للبشر يتعامل معهم بلغتهم وقدرتهم ومفاهيمهم وحسب ظروفهم. فرعون أساء لشعب اللّه وصمم على قتل كل طفلٍ ذكر يُولد لهم (خر ١: ١٦) لكي يبيدهم تمامًا، فيأتي الوقت الذي فيه لا يوجد بينهم رجل واحد، وتصير النساء والفتيات مُستعبدات للعائلات المصرية. فجاء الطفل يسوع إليهم ليعلن حبه لهم ويخلصهم.

ثانيًا: في القرن الثامن ق.م. تنبأ إشعياء عن زيارتنا لمصر، إذ قال: "هوذا الربّ راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر، فترتجف أوثان مصر من وجهه، ويذوب قلب مصر داخلها ... في ذلك اليوم يكون مذبح للربّ في وسط أرض مصر ... ويعرف المصريون الربّ في ذلك اليومِ ويقدمون ذبيحة وتقدمة وينذرون للربّ نذرًا ويوفون ... يبارك ربّ الجنود قائلاً: مبارك شعبي مصر" (إش ١٩).

سأل الفتى لوقا: ماذا تقصد النبوة بالسحابة السريعة التي ركبها الربّ وهو قادم إلى مصر؟

أجابت أم النور: لست أعرف بماذا أجيبك، فالنبوة تقصد بالسحابة على ما أظن ضعفي أنا المحتاجة إلى الخلاص، فإذ حلّ عليّ الروح القدس تحوّل قلبي من كونه ثقيلاً للغاية بسبب الضعف البشري، إلى سماء خفيفة وسريعة تنطلق بالفكر إلى اللّه في عرشه.

لا تنسى يا لوقا ابني أن الشيطان يحاربنا حتى النفس الأخير، يريد أن يجعل قلوبنا ونفوسنا مثقلة بالخطايا والشهوات الأرضية حتى نصير كالرصاص الذي يغطس كما في مياه البحر والمحيطات، لكن نعمة الله تقدسنا خلال عمل الروح القدس فننطلق من مجدٍ إلى مجدٍ (٢ كو ٣: ١٨).

سأل الفتى لوقا: لماذا هرب الطفل يسوع إلى مصر؟ هل كان يخشى الموت ذاك الذي يقدم نفسه ذبيحة حب - بكونه آدم الجديد - لله أبيه، ويغفر لمؤمنيه خطاياهم؟

أجابت أم النور:

أولاً: ربي يسوع الذي أقام موتى بكلماته وسلطانه، وبصليبه وبموته حطّم سلطان الموت، كيف يخاف من الموت؟! يقول الرسول بولس: "من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الآلام، مستهينًا بالخزي" (عب١٢: ٢).

ثانيًا: ربي يسوع، ابني الحبيب في سلطانه أن يمنع هيرودس من قتله، بأمرٍ يصدر منه، أو يرسل ملاكًا يقتله، لكنه تجسد وصار إنسانًا لا ليقتل انسانًا بل ليموت هو عن البشرية ويخلّصها من كل شرٍ إن أرادت.

ثالثًا: مسيحنا وهو طفل كان بالحق معلمًا، أراد أن نقتدي به، فنهرب من الأشرار ولا نتحدى الشرّ.

رابعًا: جاء مسيحنا لكي يقدم الخلاص للبشرية بموته علانية أمام العالم، ويشهد التاريخ للبشرية بصليبه أنه يُقدم الخلاص بموته.

خامسًا: أراد بهروبه إلى مصر افتقاد العالم غير المؤمن - خلال مصر كعينة للدول الأخرى، ويقدم لهم إمكانية الإيمان به، حيث انهارت عبادة الأوثان، وانتشر الإيمان في مصر.

سادسًا: هرب إلى مصر ليؤكد ناسوته، أنه صار بالحقيقة إنسانًا.

سابعًا: أظهر بهروبه تواضعه.

سأل الفتى لوقا القديسة مريم: لماذا سمح الربّ بقتل أطفال بيت لحم؟

أجابت القديسة مريم: حقًا قُتل الأطفال ظلمًا دون أي ذنب، وناحت أمهاتهم ولم يتعزوا. لكن هؤلاء الأطفال صاروا أبطالاً في الربّ. لقد انطلقوا إلى

الهاوية، وبشروا مؤمني العهد القديم من آباء وأمهات وأنبياء وملوك وقضاة، هؤلاء الذين ماتوا على الرجاء بمجيء المسيّا المُخلّص، وقد طال انتظارهم وهم يترقبون مجيئه، وإذ وصل أطفال بيت لحم إليهم تحوّل الجميع إلى خورس يُسبح السيد المسيح الذي يُقدم الخلاص بسفك دمه.

سأل الفتى لوقا: لماذا تظاهر هيرودس بأنه يريد أن يسجد للملك المولود؟

أجابت أم النور: كثيرًا ما يستخدم الأشرار مظاهر الخداع. لذلك تظاهر هيرودس بالتقوى مخفيًا السيف وراءها. تظاهر بالبساطة والصداقة وهو يخطط لقتله.

سأل الفتى لوقا: ما هي مشاعرك يا أمي وأنتِ في الطريق إلى مصر؟

القديسة مريم:

أولاً: كنت حاملة الطفل يسوع وهو خالق العالم، فكل الأرض للربّ ومسيحه. لم أشعر أننا ذاهبون إلى أرضٍ غريبة.

ثانيًا: كثيرًا ما سمعت نبوة إشعياء النبي عن مصر ولم أكن قد زرتها من قبل. فرحت جدًا للذهاب إلى الأرض التي قال عنها الربّ على لسان إشعياء: "مبارك شعبي مصر" (إش ١٩: ٢٥).

في ذلك أيضًا قال النبي: "ويعرف المصريون الربّ، ويقدمون ذبيحة وتقدمة وينذرون للربّ نذرًا، ويوفون به" (إش ١٩: ٢٠). لم أكن من قبل أفهم هذه العبارة. كنت أتساءل في داخلي: هل اليوم الذي قال عنه النبي يقصد به فترة رحيلنا إلى مصر وإقامتنا في مناطقٍ كثيرة. هل يبارك الطفل يسوع المصريين ويهبهم نعمته والإيمان به.

لقد عرفت بعد ذلك أن الذبيحة والتقدمة التي يقدمها المصريون للربّ هي القداس الإلهي: جسد الربّ ودمه.

أما النذر الذي تمموه هو إيمانهم بالربّ وتكريس الكثيرون حياتهم للكرازة به والعبادة له وأيضًا انتشار الرهبنة في مصر، سواء نظام الوحدة أو السياحة أو الجماعات أو الشركة.

هذا الأصحاح (إشعياء ١٩) حتمًا يشجع المصريين للخدمة وحفظ الإيمان إلى منتهى الدهور.

صارت أرض مصر مباركة، ويفرح السمائيون بها!

الفتى لوقا يسأل: ألا يعمل ربنا يسوع في بقية العالم كما في مصر؟

القديسة أم النور: الأرض وملؤها للربّ ومسيحه (مز ٢٤: ١)، فهو يعمل في كل مكان، وتبقى مصر مثالاً رائعًا لعمل الله في حياة البشرية.

الفتى لوقا: قال النبي إشعياء: فترتجف أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر داخلها (إش ١٩: ١)، هل تحقق هذا بزيارة العائلة المقدسة لمصر؟

أم النور: حدث ذلك في بعض البلاد. وقد سمح الله بعدم هدم المعابد الوثنية إذ تحولت إلى كنائس. وما يفرح قلوبنا أن الأوثان التي كانت في القلوب سقطت.

ليس فقط سقطت الأوثان من قلوب المصريين، وإنما سكن الربّ في قلوبهم وامتلأت حياتهم تهليلاً. لذلك تسبح الكنيسة المصرية في عيد دخول السيد المسيح مصر، قائلة: "افرحي وتهللي يا مصر مع بنيها وكل تخومها، لأنه قد أتى إليكِ محب البشر، الكائن قبل كل الدهور".

اذكروا ما قال القديس مار يعقوب السروجي: "خرج النور ليقتل ظلام الليل من العالم ... أرسل إلى بابل كوكب النور لتأتي إليه، ونزل أرض مصر لتستضيء به."

تطلع الفتى لوقا إلى القديسة مريم وقال:

"طوباكِ يا أم النور، حملتي ابنك الحبيب وكان القديس يوسف الشيخ في صحبتكما منطلقين إلى مصر الحبيبة.

صلِ من أجلي لكي يقيم ابنك ملكوته في قلبي إلى الأبد.

اطلبي منه أن يحطم كل الأصنام التي في داخلي، فأصير بالحق هيكله المقدس.

مشتاق يا أمي أن أرى أطفال بيت لحم الأبطال، الشهداء الصغار، إن صح لي القول.

ففي السماء، لا يوجد طفل ولا شيخ لكننا بالحق نصير كملائكة الله.

كم أنا حزين على هيرودس وأمثاله الذين في جهالة يظنون أنهم يخدعون المؤمنين، ولم يدروا أنهم بخيبتهم إنما يخدعون أنفسهم.

أشتاق أن أرى كل البشرية بسطاء وحكماء سالكين في النور الإلهي، منطلقين نحو المجد الأبدي!"